

تماسك الأسرة ودوره في بناء مجتمع متماسك ومستدام

الدانة السليبي

طالبة، كلية الآداب والعلوم - جامعة قطر



تؤدي الأسرة دورًا جوهريًا وفعالًا في بناء مجتمع متماسك بحق، إذ تتجلى أهميتها في رعاية الأفراد عاطفيًا، ومنحهم شعورًا بالانتماء والأمان، وهو عنصر أساسي للنمو والتطور الشخصي. فالأسرة هي البيئة الأولى التي تتكون فيها شخصية الفرد، وتتطور من خلالها قدراته، وتُغرس فيها القيم الدينية والوطنية والاجتماعية. والأفراد الذين ينشأون في أسر مترابطة يتمتعون بصلابة ذهنية أكبر وقدرة على تحمل مصاعب الحياة، مما يجعلهم أكثر استعدادًا للإسهام الإيجابي في المجتمع.

وعلى الرغم من أن العديد من الدراسات حول تماسك الأسرة تركز على مرحلة الطفولة بوصفها فترة حاسمة تُغرس فيها المبادئ والقيم والمهارات الاجتماعية الأساسية، فإن نتائج هذه المرحلة تمتد لتشكّل مساهمة الأفراد في المجتمع في مراحل لاحقة من حياتهم، وتُعزز بناء مجتمعات أقوى وأكثر تماسكًا. ويأتي هذا التوجه متسقًا مع استراتيجية جامعة قطر البحثية 2025-2030 التي تؤكد على أن التماسك الاجتماعي هو جوهر التنمية المجتمعية. ومن هذا المنطلق، لا يُعد تماسك الأسرة فائدة شخصية فحسب، بل هو أيضًا ركيزة أساسية لنهضة المجتمع. وتتناول هذه المقالة دور تماسك الأسرة في تعزيز الصحة النفسية والتعليم والقيم الاجتماعية، وكيف يُمكن للأسرة أن تكون العمود الفقري لمجتمع مزدهر ومتماسك.

أحد أهم أدوار تماسك الأسرة يتمثل في تعزيز الصحة النفسية الإيجابية بين أفرادها. فالأسر القوية توفر الراحة والاستقرار والدعم الداخلي، مما يساعد الأفراد على

التكيف مع صعوبات الحياة ويشجعهم على أن يكونوا أعضاء مسؤولين في المجتمع. وقد أكدت دراسات أجريت في دولة قطر هذا المفهوم، إذ أظهرت دراسة لفخرو وآخرين (2023)، التي تناولت كيفية دعم الأسر للأطفال الذين يعانون من اضطرابات نفسية في دول مجلس التعاون، وتبين أن سلوكيات الأسرة يمكن أن تخفف من الضغوط النفسية أو تزيدها، وهو ما يُبرز الدور الحيوي للأسرة في تعزيز رفاه الطفل وتمكينه من تطوير مهارات فعالة في مواجهة التحديات. كما تبين أن الأسر التي توفر التوجيه والرعاية وتتابع علاج أبنائها وتساعدتهم في الالتزام بخطط العلاج، تُسهم في تحسين حالتهم النفسية. وتؤدي الأسرة كذلك دورًا في تعليم الأطفال مهارات التأقلم الأساسية، مثل حل المشكلات، وضبط العواطف، وبناء المهارات الاجتماعية. ومن خلال هذه الأدوار، تُنمّي الأسر لدى أطفالها القدرة على الصمود، والإحساس بالغاية، ما يعزز الصحة النفسية العامة. وتشير هذه النتائج إلى أن تماسك الأسرة لا يقتصر على دعم الأطفال الذين يعانون من اضطرابات نفسية، بل يمتد أثره ليشمل المجتمع بأكمله من خلال بناء مجتمع أكثر تماسكًا ومرنًا.



وتشجيع اللطف والتسامح داخل الأسر، وهي جميعها قيم أساسية لبناء مجتمع متماسك ومزدهر. وتُظهر هذه الجهود الدور المحوري للأسرة في تحقيق التنمية الاجتماعية والوثام الوطني.

في الختام، يمكن القول إن تماسك الأسرة يمثل حجر الأساس في بناء مجتمع مستدام ومتماسك، لما له من أثر في تعزيز الصحة النفسية والتعليم وُغرس القيم المجتمعية. فالبنية الأسرية القوية تمنح الأفراد الراحة والاستقرار والدعم العاطفي، مما يساعدهم على مواجهة التحديات الحياتية والنمو كأعضاء مسؤولين ومنتجين في المجتمع. ومن خلال دعم التعليم، تسهم الأسرة في تنمية المهارات والمعارف والإصرار لدى أبنائها، مما ينعكس إيجاباً على تطوُّرهم الشخصي وتقدُّم المجتمع. كما تُعد الأسرة المصدر الأول لنقل الموروث الثقافي والأخلاقي، الأمر الذي يتيح للمجتمع العمل بانسجام نحو أهداف مشتركة. وتؤكد المبادرات الوطنية في دولة قطر، مثل الورش والبرامج الداعمة لتماسك الأسرة، التزام الدولة المستمر بتقوية البنية الأسرية ودعمها. لذلك، يبقى تعزيز تماسك الأسرة ضرورة أساسية للتنمية المستدامة، ويتطلب من المسؤولين التربويين وصُنَّاع القرار وقادة المجتمع العمل معاً لتهيئة بيئات داعمة ومُمكنة للأسر، حتى تنشأ الأجيال القادمة في مجتمعٍ يقوم على الصمود والتعلم والهوية الثقافية والقيم المشتركة.

أما في مجال التعليم، فيبرز تماسك الأسرة كعامل رئيسي في تعزيز التحصيل الأكاديمي والدافعية نحو التعلم، إذ لا يمكن إنكار أن دعم الأسرة يسهم بدرجة كبيرة في رفع مستوى الحافز لدى الأفراد وتحسين مشاركتهم وأدائهم في السياق الأكاديمي. فالأسرة هي التأثير الأقرب للفرد وتشكّل عدة جوانب من حياته، ومن ضمنها الجانب التعليمي. وقد أظهرت دراسة أجريت على أكثر من 436 ألف مراهق في 71 دولة (قو وآخرون، 2025) أن الدعم الأسري يرتبط إيجاباً بالأداء الأكاديمي على المستوى العالمي، وأوضحت الدراسة أن الدعم الأسري، سواء العاطفي أو الأكاديمي، يلعب دوراً محورياً في تحسين النتائج الدراسية للطلبة. وينعكس ذلك بوضوح في دولة قطر، حيث تُشجّع المدارس مشاركة أولياء الأمور في العملية التعليمية من خلال ورش العمل والفعاليات التي تُعزز التواصل بين المدرسة والأسرة. ومن واقع تجربتي الشخصية، لاحظتُ كيف كانت المدارس تدعو الآباء والأمهات للمساهمة في الأنشطة التعليمية، مما يُعزز الشعور بالمسؤولية المشتركة بين الأسرة والمؤسسة التعليمية. وهذا ما يوضح الأثر الكبير لتماسك الأسرة في بناء مجتمعٍ قطري متماسك ومستدام.

ولا يقل دور تماسك الأسرة أهمية في نقل القيم المجتمعية وترسيخها، إذ تُسهم الأسرة المترابطة في بناء مجتمع مزدهر ومتماسك يقوم على مبادئ أخلاقية وإنسانية مشتركة. فالأسرة هي المكان الأول الذي يتعلم فيه الأفراد القيم الأساسية والمبادئ الأخلاقية، وغالباً ما يتم ذلك من خلال الخبرات اليومية والعادات الثقافية التي تُمارس داخل المنزل. وهذه الأسس المبكرة تُنتج مجتمعاً متقارب القيم، مما يسمح للمؤسسات الاجتماعية بالعمل بانسجام لتحقيق الأهداف المشتركة. وقد نفذت دولة قطر عدة مبادرات وبرامج تهدف إلى تعزيز تماسك الأسرة وُغرس القيم المجتمعية، ومن أبرزها حملة "الأسرة كنز الوطن" التي أطلقتها وزارة التنمية الاجتماعية والأسرة (2023)، بمناسبة السنة الدولية للأسرة 2024، ضمن مبادرة "تعزيز القيم". وشاركت في هذه الحملة عدة جهات مثل: وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي، ووزارة الداخلية، ومركز وفاق للاستشارات الأسرية، حيث نظمت ورشاً وأنشطة توعوية لترسيخ القيم الدينية والأخلاقية